من حديقة أبيقور[1]

فرغت الآن من مطالعة كتاب ، يعرض فيه أحد الشعراء الفلاسفة ناساً لا يفرحون ولا يألمون ، ولا يتشوّفون الى جديد العرفان . وما كدت أخرج من أرض هذه « الأتوبيا » الجديدة ، وأعود الى أرض دنياي هذه ، فأرى الناس من حولي يناضلون ويحبون ويألمون ، حتى داخلني الشعور بمحبتهم ، وأحسست بالرضى عن مشاركتهم فيما يحزنون ! لشد ما نرى في هذا وحده الفرحة والحق : إنها الفرحة في الوصب والعذاب ، كالبلسم في جراح الشجرة الكريمة . لقد أمات أولئك الناس أهواءهم ومنازعهم ، فأماتوا فيهم كل شيء : أماتوا اللذة والألم ، وأماتوا الوصب والذوق ، وأماتوا الخير والشر والجمال : أماتوا كل شيء ، وأماتوا الفضيلة على الخصوص . فهم عقلاء حكماء بلا ريب ، ولكنهم مع ذلك لا يسوون شروى نقير ، لأن قيمة المرء فيما يبذل من جهد ونشاط . وأي شأن لحياتهم مهما طالت وامتدت ، إذا هم لم يملؤوها بالصخب أو يحيوها ويعيشوا فيها ؟

يفيدني هذا الكتاب النائمة الجلّى من حيث يُعز في خاطري هذه الحال القاسية التي تتحيّف الانسان ، ومن حيث يصل بيني وبين هذه الحياة المؤلمة ، ومن حيث يهدف بي الى تقدير الناس أمثالي : والى العطف الكبير على الانسانية . وفضل هذا الكتاب في انه يحبّب اليك الحقيقة الواقعة ، ويحذّرك من العقلية الخرافية والعقلية الواهمة . وهو إذ يعرض أحياء لا يألمون ، إنما يعلّمنا أن هؤلاء المحزونين المنعمين ليسوا لنا أكفاء ولا أقراناً ، وأن من أكبر الجنون أن نحوز حياتنا الى حياتهم ، إن كان التجاوز ممكن الوقوع .

يا للسعادة البائسة : أيكون عند هؤلاء فن ، وقد فقدوا المنازع والأهواء ؟ وكيف يكون فيهم شعراء ؟ يا ويحهم ! جهلوا ذوق القريحة الملحمية التي تستلهم خواطر الحقد والغرام ، والقريحة الهزلية التي تتوأ على إيقاع من تقائص البشر ومباذلهم . لقد عجزوا عن أن يتصوّروا في خيالهم بالسين كـ « ديدون » و « فيدر » وما رأوا قط هذه الأشباح العلوية القدسية التي تتعثر مرتعشة تحت أحجار الآس الخالدة .

عمي صمّ إزاء أعاجيب هذا الشعر الذي يؤلّه أرض البشر . لا يعرفون شاعراً كترجيليوس

(١) من كتاب حديقة أبيقور تحت الطبع لصاحب التوقيع

فاذا قيل انهم سعداء فلأنهم يملكون مصانع يصعدون بها الى العلاء . على ان بيتاً واحداً من الشعر الجميل قد أحسن الى الناس أكثر مما أحسنت اليهم « روائع » الصناعة المعدنية على الاطلاق .

يا للتطور الذي لا يرق ولا يلين ! إن هذه المجموعة من المهندسين لا تعرف الأهواء ولا الشعر ولا الغرام . واحسرتاه لهم ! كيف يحيون وهم سعداء ؟ إنما الحب لا يعمر ولا يزهر إلاّ بالألم . أليست اعترافات العشّاق هتافات الشدة والضيق والبرم ؟ لقد هتف الشاعر الانجليزي في إحدى نوبات حبه : « آه لو أن الله كان بائساً شقيّاً في مثل بؤسي وشقائي ، إذن ما استطاع من أجلك أنت يا محبوبتي أن يألم وأن يموت ! »

لنغفر للألم وقعه في أنفسنا ، ولنعلم حق العلم أنه من المستحيل أن نتصوّر سعادة أعظم من السعادة التي نشعر بها في هذه الحياة الشديدة الحلاوة والمرارة ، الكثيرة السوء والصلاح ، المثالية الواقعية معاً ، التي تضم كل شيء وتعدل بين النقيض والنقيض . فهذي الحياة حديقتنا التي ينبغي أن نحرث أرضها بعزيمة ونشاط !

دمشق محمد رشدي فيصل

بحث معجمي : في الفلسفة وعلم النفس

المذهب العملي Bragmatism

(Pragmat (ic) & ism). Gr. bragmatikos = active, versed, in affairs: pragma = a thing done, a fact, pl. pragmata = affairs, state affairs, public business, etc. Also Practicalism.

(١) مذهب أن المعنى الكلي الذي يتضمنه تصور من التصورات، إنما يتجلى في النتائج العملية ، ملازماً صورة من السلوك أو الاخلاق يحسن اتخاذها ، مقروناً بتجارب ينتظر ظهور نتائجها العملية، اذا كان ذلك التصور صحيحاً . (٢) الاسلوب الذي يتذرع به لتبرير قضية يدعى بأنها صحيحة ، بما يبرز من نتائجها، أي بما يكون لها من الآثار العملية في توجيه مصالح الانسان وأغراضه

Quot., 1900, W. Caldwell in "Mind" Oct-436- in this so called Pragmatism or Practicalism of Prof. James.